نشأة الاستشراق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد :

تحتل الدراسات الاستشراقية حيزاً واسعاً في مجال الدراسات الإسلامية ، ولهذه الدراسات أهميتها وثقلها العلمي ، بحيث لا تكاد تخلو دراسة علمية من الإشارة إليها .

وقد شكلت الدراسات الاستشراقية العقل الغربي وحددت موقفه من الإسلام ، بحيث يكون الموقف الغربي العدائي تجاه الإسلام هو موقف الاستشراق ذاته من الإسلام .

والاستشراق منذ نشأته وضع نفسه في خدمة الأهداف المشبوهة ، والتي تعمل لإذابة المسلمين إما بتنصيرهم ، أو بانسلاخهم عن شخصيتهم الإسلامية .

وقبل أن نبدأ بالحديث عن نشأة الاستشراق ، لابد من تعريفه ، ذلك أن السرد التاريخي وإن كان يؤصل الدراسة من بدايتها ، إلا أنه لا يعطي فكرة واضحة عن مفهوم الاستشراق . إذاً نبدأ أولاً بالتعريف في اللغة والاصطلاح ، ثم نشأته ، وسوف أقسم النشأة إلى مراحل خالية من التواريخ التي لم يقع الإجماع عليها ، والتي تضاربت الأقوال والآراء فيها ، ثم أذكر السبب الباعث على نشأة الاستشراق ، وإن كانت أسبابه متعددة إلا أنني سأركز على السبب الديني ، لأنه يقف على قمت بواعث نشأة الاستشراق .

تعريف الاستشراق

التعريف الغوي :

كلمة الاستشراق ، لو أرجعناها إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة " شرق " ، يقال : شرقت الشمس ، تشرق شروقاً ، وشرقاً ، إذا طلعت . (١)

ثم أضيفت إلى كلمة ، " شرق " ، ثلاثة حروف هي : الألف ، والسين ، والتاء ، لتصبح استشراق ، ومعناها : طلب الشرق ، بمعنى طلب علوم الشرق ، وآدابه ، ولغاته ، وأديانه ، وكل ما يتعلق به . (٢)

التعريف الاصطلاحي :

الاستشراق تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين ، شعوبهم ، وتاريخهم ، وأديانهم ، وكل ما يتعلق بهم . (٣)

ويرى بعض الباحثين الغربيين أن مصطلح " استشراق " ، ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان ، ولم يطلق هذا المصطلح في بداية البحث في لغات الشرق وأديانه ، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق ،

---

(١)ابن منظور ، " لسان العرب " (١٠/١٧٣/مادة شرق)

(٢) مطبقاتي . مازن " الاستشراق " (ص٣)

(٣) مغلي . محمد البشير " مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب " (ص٤٠)

فظهرت كلمة مستشرق في إنجلترا سنة ١٧٧٩م ، وفي فرنسا سنة ١٧٩٩م ، ثم أدرجت كلمة الاستشراق في قاموس المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٨٣٨م ، ولا يعني شيئاً هذا التأخر أكثر من إقرار أمر واقع ، وإطلاق وصف على دراسات كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة . (١)

ويطلق لفظ استشراق على طلب معرفة ، ودراسة اللغات ، والآداب الشرقية .

ويطلق لفظ مستشرق عل الدارس الذي يقوم بدراسات حول الشرق . (٢)

وهذه الدراسات وإن كانت عن الشرق بصفة عامه ، فهي تهتم بالإسلام والمسلمين ، واللغة العربية ، وبلاد المسلمين بصفة خاصة ، من أجل الوصول إلى أهدافهم المشبوهة . (٣)

ومن التعريف السابق ، والتعريفات الأخرى المشابهة له يمكن أن يعرف الاستشراق تعريفاً شاملاً بأنه كل ما يصدر عن الغربيين ، من أوربيين ، شرقيين ، وغربيين ، وأمريكيين ، من دراسات أكاديمية تتناول قضايا الإسلام ، والمسلمين ، في العقيدة ، وفي الشريعة ، وفي المجتمع ، وفي السياسة ،

---

(١)محمد . إسماعيل علي " الاستشراق بين الحقيقة والتضليل " (ص ٢٠)

(٢) المرصفي . سعيد " المستشرقون والسنة " (ص ٩)

(٣) فرج . السيد أحمد " الاستشراق ، الذرائع ، النشأة ، المحتوى " (ص ١٧

أو الفكر كما أحتوى الاستشراق كل ما تبثه وسائل الإعلام الغربية ، أو العربية ، من إذاعات ، أو تلفاز ، أو أفلام سينمائية ، أو رسوم متحركة ، أو قنوات فضائية ، أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين ، وقضاياهم ، كما أن من الاستشراق ما يخفى علينا مما يقرره الباحثون ، والسياسيون الغربيون في ندواتهم ، ومؤتمراتهم العلنية أو السرية ، ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب ، من أقباط ، ومارونيين ، وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي .

ولابد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين ، وتبنوا أفكارهم ، حتى أن بعض هؤلاء التلاميذ تفوق على أساتذته ، في الأساليب ، والمناهج الاستشراقية . ويدل على ذلك دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء ، ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة .

وكان الاستشراق ومازال يهتم بالشعوب الشرقية عموماً التي تضم : الهند ، وجنوب شرق آسيا ، والصين ، واليابان ، وكوريا ،وجزيرة العرب ، فهذه المناطق نالت اهتماما كبيراً في الدراسات الاستشراقية ، كل ذلك يضم تحت مصطلح واحد هو الاستشراق . (١)

---

(١) مطبقاتي " الاستشراق " (ص٥ وما بعدها

مراحل نشأة الاستشراق

المرحلة الأولى :

اختلف الباحثون في نشأة الاستشـراق ، وفي تحديـد سـنة معينة ، أو فترة معينة لنشأته ، فيرى ا لبعض أن الاستشـراق ظهر مع ظهور الإسلام ، ولعـل اهتمـام النصـارى بـهذا الديـن يعـود إلى هجـرة المسـلمين إلى الحبشـة ، وتحـول النجاشـي ملـك الحبشـة مـن النصرانيـة إلى الإسـلام ، وكـانت الفـرصة الثانية لتعـرف النصارى على الإسلام حينما بعـث الرسـول صلى الله عليه وسلم رسله إلى الملوك خارج الجزيرة العـربية ، يدعوهـم إلى الإسلام . (١)

المرحلة الثانية

بـدأت مع أول احتكـاك عسكـري بين الإسلام ، والنصـرانيـة في موقعـة مؤتـة عـام ٦٢٩م ، ولمـا كـانت الغلبـة للإسـلام ، كـانت النتيجـة الحتميـة زيادة حقدهم على الإسلام ، وأهله .

بعـد ذلك أخذ الاستشراق يخطو أولى خطواته في عـهد بـني أمية ، علـى يـد راهب سوري يسمى يوحنا الدمشـقي ، الـذي أخـذ في نشـر الآراء المحيرة عـن الإسلام ، ومن خلال كتابه " حياة محمد " الذي قدم فيه الدين الإسـلامي علـى أساس أن المسلمين فـرقة نصـرانية مـارقة ظهـرت في عـهد هـرقل بفعل متنب

---

(١) المرجع السابق ص ٧

من العرب يدعى محمد ، أخذ هذا الدين من أحد أتباع أريوس المتوحد الراهب النصراني الذي طردته الكنيسة البيزنطية ، لأنه كان يعتقد بالتوحيد المجرد لله ، فأسس دعوة الإسلام على أساسها .

وفي هذه المرحلة ظهرت أول كتابات المستشرقين عن الإسلام التي جاءت في كتاب يوحنا السابق " حياة محمد " ، وكتاب آخر له بعنوان " حوار بين مسيحي ومسلم " ، بالإضافة إلى رسالة قديمة بعنوان " عيد المسيح بن إسحاق الكندي " أعيد نشرها في القرن التاسع عشر ، لتخدم أغراض المبشرين العاملين في الشرق الإسلامي . (١)

المرحلة الثالثة :

حين اشتدت حملة الصليبيين على المسلمين ، بدأ الاستشراق يظهر في الأندلس في القرن السابع الهجري ، بوصفه إنتاج فكري ناجماً عن الحروب التي خاضها الغرب ضد الشرق تحت راية الصليب لكن الذي نشط الاستشراق ، وحركه في الاتجاه السلبي هو فشل الحروب الصليبية ، الذي كان دافعاً للمزيد من الاهتمام بالإسلام ، بدليل وصية القديس لويس ملك فرنسا ، وقائد الحملة الصليبية الثامنة ، والذي أيقن لدى عودته إلى فرنسا ، أنه لا سبيل إلى النصر ، والتغلب على المسلمين عن

---

(١) فرج . السيد أحمد " الاستشراق " (ص ٤٧ وما بعدها

طريق القوة الحربية ، ولذا يتعين تحويل المعركة من ميدان السلاح إلى ميدان العقيدة ، والفكر ، ولا مندوحة للعلماء الأوروبيين عن ذلك إلا بدراسة الحضارة الإسلامية ، ليأخذوا منها السلاح الجديد ، الذي يغزون به الفكر الإسلامي .(١)

المرحلة الرابعة :

أصدر مجمع فينا الكنسي قراراً في سنة ١٣١٢م يقضي بإنشاء عدد من الكراسي لدراسة اللغة العربية . (٢) وقد صدر هذا القرار بناً على اقتراح قدمه المنصر ريموند لول ، الذي كان يحث المسيحيين على تعلم اللغة العربية بوجه خاص ، كأفضل وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية ، وقبول اقتراحه من المجلس الكنسي يدل على نمو الفكرة التنصيرية في الغرب المسيحي ، وبخاصة بعد فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها - كما سبق - وهي ردة المسلمين عن الإسلام ، أو إبادتهم جميعاً .

وكان ريموند لول وغيره من كبار رجال الدين المسيحي ، يأملون أن يتحول التتار إلى المسيحية ليكونوا عوناً للمسيحيين على إبادة المسلمين جميعاً ، إلا أن التتار تحولوا إلى الإسلام بفضل من الله ؛ لأنهم وجدوه أيسر

---

(١)مغلي . محمد " مناهج البحث ص٤٧

(٢) النملة . علي بن إبراهيم " المستشرقون والتنصير " (ص ٢٢)

اعتقاداً ، وأيسر تطبيقاً . وبالرغم من ذلك استمرت الروح التنصيرية المعادية للإسلام في النمو والتطور ، وكذلك استمرت هذه الروح التنصيرية في التأثير على الدراسات الاستشراقية ، وتوجيهها ففي سنة ١٦٣٦م أنشئ كرسي للغة العربية بجامعة كامبردج ، بهدف ، توسيع حدود الكنيسة ، ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون في الظلمات ، كما نص على ذلك قرار الإنشاء . (١)

المرحلة الخامسة :

نستطيع أن نقول : إن المرحلة الأولى ، والثانية من قبيل الإرهاصات ، والمرحلة الثالثة ، والرابعة ، من قبيل تعميق الفكرة ، وهذه المرحلة هي البداية الحقيقية للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتب سنوياً ، ومئات الدوريات ، ويعقد المؤتمرات ، فهذه هي البداية الحقيقية ولا سيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها العلمية ، وأصبح فيها العديد من الجامعات ، ومراكز البحوث . (٢)

ولا يخفى أن للكتب دور كبيراً في نشر المبادئ ، وإشاعة الأفكار ، ومن هنا أهتم المستشرقون بهذه الوسيلة الفعالة ، فعكفوا على تأليف الكتب ،

---

(١) غراب . أحمد " رؤية إسلامية للاستشراق " (ص ٢٦)

(٢) مطبقاني . " الاستشراق" ص ٨

وإصدار الموسوعات ، وإخراج المعاجم ، والبحوث ، التي تضمنت الحديث عن جوانب الإسلام المختلفة ، فتطرقت إلى العقيدة ، والشريعة ، والسنة ، والتاريخ ، وغير ذلك من الجوانب ، وهذه الكتب ، والبحوث ، حوت في الغالب تزويراً للحقائق ، وافتراءات على الإسلام ، وهجوماً عليه ، وتحقيراً لمبادئه ، وتعاليمه ، وازدراء لأهله ، بأساليب واضحة ، وأخرى ملتوية . (١)

هذه بصورة موجزة المراحل التي مر بها الاستشراق في نشأته ، ومن خلالها يتضح السبب الباعث على نشأته ، إذ تعود نشأته بالدرجة الأولى إلى أسباب دينية ، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة عميقة ، ويقرر كثير من الباحثين أن السبب الديني يقف على قمة بواعث نشأة الاستشراق ، ذلك أن العلاقة بين الغرب والإسلام قائمة على الصراع الديني ، مع الأخذ بالحسبان أن المستشرقين ليسو جميعاً ممن ينتمون إلى النصرانية ديناً ، بل كان هناك مستشرقون يهود بثوا سمومهم ضد الإسلام ، ومن أشهرهم " جولد زيهر " ، و " شاخت " ، ولهؤلاء اليهود دور في الحركة الاستشراقية ، ويعتبر دورهم دور هام ومؤثر .

وقد أغفلت المراجع التي تناولت تاريخ الاستشراق ، وتطوره ، دور اليهود فيه والسبب في ذلك يرجع إلى :

١/ أن المستشرقين اليهود قد استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً

----

(١) محمد . إسماعيل " الاستشراق " ص ٧٩ وما بعدها

أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوربية المسيحية ، فقد دخلوا للاستشراق بوصفهم الأوربي المسيحي ، لا بوصفهم اليهودي ، وقد استطاع " جولد زيهر " اليهودي المجري ، أن يصبح زعيم الإسلاميات في أوربا .

٢/ أن اليهود أنفسهم أرادوا ذلك على ألا يعزلوا أنفسهم فيقل تأثيرهم ، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين ، وبذلك حققوا هدفين :

الأول / فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها

الثاني / النيل من الإسلام .

وهذه الأهداف تتفق مع أهداف المستشرقين النصارى ، أما أسباب إقبال اليهود على الاستشراق فهي :

١/ أسباب دينية : في محاولة إضعاف الإسلام ، والتشكيك فيه ، وإثبات فضل اليهودية عليه بإدعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول .

٢/ أسباب سياسية : تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولاً ، ثم دولة ثانياً . (١)

---

(١)النملة . علي " المستشرقون والتنصير " ص ١٦ ، زقزوق . محمود " الإسلام والاستشراق " (ص ٨٠)

المراجع

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ ومكان الطبع
١	المستشرقون والتنصير	د. علي بن إبراهيم النملة	ط١ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، الرياض مكتبة التوبة
٢	مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب	محمد البشير مغلي	ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م الرياض مركز الملك فيصل
٣	المستشرقون والسنة	د. سعيد المرصفي	ط ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م الكويت مكتبة المنار الإسلامية
٤	الاستشراق، الذرائع، النشأة، المحتوى	د. السيد أحمد فرج	ط ١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م الرياض دار طويق للنشر والتوزيع
٥	الاستشراق بين الحقيقة والتضليل	د. إسماعيل علي محمد	ط ٣، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م مصر دار الكلمة
٦	رؤية إسلامية للاستشراق	أحمد غراب	ط ٢، ١٤١١هـ المنتدى الإسلامي
٧	الاستشراق	د. مازن بن صلاح مطبقاني	مركز المدينة المنورة لدراسة الاستشراق
٨	الإسلام والاستشراق	د. محمود وقزوق	ط ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م مصر مكتبة وهبة

الفهرس